مظاهر المقاومة الثقافية الوطنية للإستعمار الفرنسي في مطلع القرن20م

مقدمة:

ابتليت الجزائر باستعمار استيطاني صليبي شرس ، لم يقتصر على اغتصاب أراضي الجزائريين و ثرواتهم و حريتهم، و إنما عمد إلى طمس الشخصية الوطنية بكل مقوماتها الدينية و اللغوية و الثقافية و الحضارية، باعتبارها العقبة الكؤود التي تحول دون تجسيد مشروعه في تمسيخ الجزائريين حضاريا.

وكرد فعل على هذا الواقع حاولت النخبة الإصلاحية الوطنية مع مطلع القرن20م التصدي لسياسة فرنسا الاستئصالية الثقافية و الحضارية عن طريق الصحافة المكتوبة، و النوادي، و الجمعيات الثقافية،و حركة التأليف، و التعليم العربي الحر، تجلت من خلال نشاطها تشبث الجزائريين بمقومات شخصيتهم الوطنية و الحفاظ عليها. فما مظاهر النشاط الثقافي و الاجتماعي للنخبة الإصلاحية الجزائرية في هذه الفترة؟ و الموقف الفرنسي منه ؟

أولا:الصحافة المكتوبة:

بعدما كانت هذه الوسيلة حكرا على السلطة الاستعمارية و المستوطنين و موجهة لخدمة أغراضهم و مصالحهم طوال القرن 19م، إلا أنه مع بداية القرن 20م تمكن الجزائريون من إصدار صحف خاصة بهم إدارة و إشرافا و تمويلا متخذين منها كوسيلة للإصلاح، و الدفاع عن حقوقهم و مطالبهم الوطنية، و التصدي لسياسة المحتل المستهدفة لهويتهم الوطنية، نذكر أهمها على النحو الآتي:

-**الجزائر(1908)**: صدرت بمدينة الجزائر، للكاتب و الفنان عمر راسم(1884-1959)

-**الحق الوهراني(1911-1912)**:صدرت بمدينة وهران، تولى إدارتها الفرنسي شارل تابي(اعتنق الإسلام)

-**الفاروق(1913 ثم (1920-1921)**:جريدة أسبوعية إصلاحية ذات نزعة وطنية و إسلامية صدرت بمدينة الجزائر في 1913/2/18، لصاحبها الصحفي عمر راسم(ابن المنصور الصنهاجي)،عطلها المحتل الفرنسي في سنة 1915، ثم عادت للظهور في شكل مجلة خلال فترة(1920-1921)، توقفت عن الصدور بسبب معاناتها من صعوبات مادية و بشرية

-**جريدة ذو الفقار**(1913-1914): جريدة أسبوعية محررة باللغة العربية، أصدرها الصحفي عمر راسم -الذي كان يوقع مقالاته باسم مستعار((ابن المنصور الصنهاجي))- في 1913/10/15 بمدينة الجزائر، صادرتها السلطة الاستعمارية، بسبب نزعتها الوطنية.

كما عرفت الجزائر خلال فترة بين الحربين العالميتين(1939-1919) ظهور كم هائل من الصحف بشقيها العربي و الفرنسي،و صنف آخر مزدوج اللسان، نذكر من أهمها:

-المنتقد(1925):جريدة أسبوعية إصلاحية وطنية ناطقة باللغة العربية،أصدرها عبد الحميد بن باديس في 192/7/2 بقسنطينة ، و أسند إدارتها إلى رفيق دربه في النضال أحمد بوشمال، عطلتها الإدارية الاستعمارية بسبب نزعتها الوطنية الحادة

-الجزائر(1925): جريدة أسبوعية إصلاحية ، عربية اللسان،أصدرها الكاتب محمد السعيد الزاهري(1956-1899) بمدينة الجزائر، تعرضت هي الأخرى للقمع الاستعماري بسبب اتجاهها الوطني.

-الشهاب(1939-1925):صحيفة إصلاحية ذات نزعة وطنية و إسلامية،أصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس في 11/12/ 1925 بمدينة قسنطينة.بعدما كانت تصدر مرة في كل أسبوع ، تحولت إلى مجلة شهرية ابتداء من سنة 1929، كانت ثرية بمقالاتها الدينية و التربوية في الوعظ و الإرشاد و محاربة الفساد الخلقي ،كما عرف عنها دفاعها المستميت عن الإسلام و اللغة العربية، و تضامنها مع القضايا العربية و الإسلامية التحررية

-صحافة الشيخ إبراهيم أبو اليقظان(1973-1888):

يعتبر رائد الصحافة الوطنية، خاض معركة إعلامية حامية الوطيس ضد مخططات المنصرين المسيحيين، و سياسة فرنسا الإستعمارية، بواسطة جرائده الثمانية التي أسسها ، تعرضت جميعها للقمع الإستعماري،بسبب اتجاهها الإصلاحي الوطني و نزعتها الإسلامية، و تمثلت هذه الصحف في الأتي:

1-وادي ميزاب(1929-1926):جريدة إصلاحية وطنية أسبوعية عربية اللسان، تأسست بمدينة الجزائر في 1926/10/1،صدر منها حوالي 119 عددا.

2-ميزاب(1930):جريدة أسبوعية إصلاحية وطنية،عربية اللسان، صدرت بمدينة الجزائر في 1930/01/25،تعرضت للتعطيل عقب صدور عددها الأول و الوحيد في هذا التاريخ.

3-المغرب(1931-1930):جريدة إصلاحية وطنية أسبوعية ، محررة باللغة العربية، صدرت بمدينة الجزائر في 1930/5/26، صدر منها حوالي 38 عددا.

4-النور(1931-1930):جريدة أسبوعية إصلاحية وطنية محررة باللغة العربية، صدرت بمدينة الجزائرفي 1931/09/15، صدر منها حوالي 78 عددا.

5-البستان(1933): جريدة أسبوعية إصلاحية وطنية محررة باللغة العربية، صدرت بمدينة الجزائر في 27 أفريل 1933 بالعاصمة، صدر منها عشرة أعداد.

6-النبراس(1933): جريدة أسبوعية إصلاحية وطنية صدرت بمدينة الجزائر في 21 جويلية 1933،صدر منها ستة أعداد.

7-الأمة(1933-1938): جريدة أسبوعية إصلاحية وطنية عربية اللسان، صدرت بمدينة الجزائر في 1933/09/08، صدر منها حوالي 170 عددا،عرف عنها مقاومتها الجريئة للفرنسة و الإدماج و التجنيس و دفاعها عن الإسلام و اللغة العربية.

8-الفرقان(1938): جريدة أسبوعية إصلاحية وطنية عربية اللسان، صدرت بالعاصمة في 05 جويلية 1938، صدر منها ستة أعداد.

-صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

1-السنة النبوية(1933):تعتبر أول جريدة أسستها الجمعية ، لتكون اللسان الرسمي و الناطق عنها،أصدرتها في 1933/3/1 بمدينة قسنطينة تحت إشراف عبد الحميد بن باديس،بينما أسندت رئاسة تحريرها للأستاذين الشيخ الطيب العقبي، و محمد السيد الزاهري.عطلتها الإدارة الاستعمارية بسبب نزعتها الإسلامية.

2-الشريعة-السنة النبوية المحمدية(1933):جريدة أسبوعية إصلاحية عربية اللسان ،أصدرتها الجمعية في1933/7/17 بمدينة قسنطينة تحت إشراف عبد الحميد بن باديس،و تولى إدارتها كل من الطيب العقبي و محمد السعيد الزاهري،تعرضت للقمع الاستعماري.

3-الصراط السوي(1933-1934):جريدة أسبوعية إصلاحية و طنية عربية اللسان أصدرتها الجمعية في 9/11/ 1933 بقسنطينة، تحت إشراف عبد الحميد بن باديس ،و ترأس تحريرها كل من الطيب العقبي و محمد السعيد الزاهري،بينما كان أحمد بوشمال صاحب امتيازها،أوقفتها الإدارة الاستعمارية بموجب قرار إداري صدر ضدها في جانفي 1934.

4-البصائر(1935-1939)-السلسلة الأولى-

جريدة أسبوعية إصلاحية،لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،صدرت بالعاصمة، و أسندت رئاسة تحريرها للشيخ الطيب العقبي. حولت إلى قسنطينة في سنة 1937، و أسندت مهمة إدارتها و تحريرها إلى الشيخ مبارك الميلي،واصلت صدورها إلى غاية اندلاع الحرب العالمية الثانية ، حيث أوقفتها الجمعية للحيلولة دون تحولها إلى أداة للدعاية الحربية في صالح فرنسا.

5-البصائر(1947-1956)-السلسلة الثانية-

جريدة أسبوعية إصلاحية ذات اتجاه وطني و عربي و إسلامي، شعارها العروبة و الإسلام، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، صدرت في 1947/7/25 بمدينة الجزائر،لمديرها و رئيس تحريرها البشير الإبراهيمي،توقفت عن الصدور في 1956/04/06.

-صحف أخرى،نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

-**الإصلاح(1927-1948):**جريد إصلاحية أسبوعية عربية اللسان،، أصدرها الشيخ الطيب العقبي بمدينة بسكرة

-**المغرب العربي(1937):**جريدة أسبوعية إصلاحية وطنية عربية اللسان، صدرت بمدينة وهران لمحررها و مديرها حمزة بوكوشة

-**المغرب العربي(1947-1956)**: جريدة أسبوعية إصلاحية وطنية أسسها محمد السعيد الزاهري بالعاصمة، عرف عنها تأييدها لمباديء و مطالب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية

-**المنار(1951-1954):**جريدة وطنية صدرت بالعاصمة ،ذات نزعة تحررية مغاربية، لصاحبها محمود بوزوزو

ماهو الدور الذي أدته هذه الصحف في المقاومة الثقافية الوطنية ضد المستدمر الفرنسي؟

ساهمت هذه الصحف في تنوير القراء الجزائريين بالأخبار المحلية و الدولية،وفي نشر الوعي الوطني في أوساطهم،بدعوتها إلى التمسك بشخصيتهم الوطنية ، و بالوحدة الوطنية،و الاعتزاز بالوطن و تاريخه الحضاري، وتحسيسهم بمخاطر السياسة الاستعمارية المستهدفة لكيانهم الحضاري،حيث تصدت في هذا الصدد للممارسات الاستعمارية المستهدفة للغة العربية و الدين الإسلامي،و التاريخ الوطني،و فضحها لمخططات الجمعيات التنصيرية المستهدفة لعقيدة الجزائريين ،و محذرة إياهم من النعرات الطائفية والعنصرية القبلية و الجهوية التي كانت تغذيها الإدارة الاستعمارية لغرض تفريقهم ومن ثمة سهولة السيطرة عليهم.

و تجلى دور هذه الصحف أيضا في محاربة الخرافات و الأباطيل التي كانت تروج لها الطرقية الضالة الخادمة للاستعمار،و أيضا في مقاومتها للآفات الاجتماعية.كما كانت حافلة بالمقالات حول الآداب من نثر و شعر، و مختلف فروع العلم و المعرفة،و دعوتها الجزائريين إلى الإقبال على التعليم، و التحرر من الواقع الاستعماري بطريقة أو بأخرى من خلال اهتمامها بنشر الأخبار المتعلقة بثورات الشعوب العربية ضد الاستعمار الأوروبي بأشكاله المختلفة في المغرب و المشرق العربيين(تونس، المغرب،ليبيا،فلسطين، مصر، العراق، سوريا)، و حتي في العالم الإسلامي كالهند و أفغانستان،و من ثمة تعبئتهم للمقاومة الوطنية ضد المستدمرالفرنسي، سيما و أن القضايا التي كانت تعالجها اتسمت بوعي عميق و عداء صريح للاحتلال الفرنسي.و بذلك كانت الصحافة من أهم الوسائل النضالية التي لجأت إليها النخبة الوطنية لتوعية الجزائريين و إيقاظ الروح الوطنية و القومية في أوساطهم.

و قد أشادت الباحثة اللبنانية سلمان نور في مرجعها(**الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرر)** بالدور النضالي للصحافة الوطنية الجزائرية بقولها: «... ونعني بالصحافة الوطنية تلك التي تعالج شؤون الجزائريين المسلمين والمواطنين، وتدافع عن حقوقهم، وتعبر عن مطالبهم. وقد احتلت دور الكتاب لقلة المطابع، ولضعف حركة النشر في الجزائر.فكانت منبر

الكاتب والشاعر والمعلق السياسي والمصلح الديني والاجتماعي.و كان لها الفضل في نشر اللغة العربية والحفاظ عليها أداة للتداول وللتعبير الحر.كما كان لها الدور الكبير في إقامة الروابط وتقويتها بين بلاد المغرب العربي والمشرق العربي الإسلامي. وقد واجهت هذه الصحافة عقبات كثيرة أهمها العقبات السياسية التي عرضتها للتعطيل وضيقت عليها مجال التعبير، ولكنها استمرت، رغم قلة مواردها المادية، غارزة في أذهان قرائها كلمات حية كالاستقلال، والحرية والوطنية والمساواة، والغيرة الإسلامية... »